

شبكات التواصل الاجتماعي انهيار المجال العام وصعود الفضاء الافتراضي

أ.محمد بوخبزة

جامعة مستغانم

مقدمة:

لقد استطاع الإعلام الجديد أن يحدث ثورة في عالم الاتصال لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية، حيث أنه أفرز شبكة اتصال عالمية سمعية بصرية ونصية يتفاعل معها مستخدميها إلكترونياً، التي من شأنها أن تنهي التمييز بين ما هو الشخصي و الجماهيري، بين الاتصال العام و الخاص، وفرت هذه الشبكات فضاءً عاماً ديمقراطياً يستطيع من خلاله المواطنون التفاعل، الحوار و النقاش، من ثمة المساهمة في إثراء النقاش الذي يكون مفتوح للجميع، حيث نشاهد اليوم تشكل "مجتمعات افتراضية" على الشبكة إختزلت الحدود الجغرافية، وتخلصت من جميع أشكال الضغوطات التقريب، إذ يحتمل أن الرقابة لا زالت تمارس على الشبكة مع تصاعد مظاهر العنف و الترويج له .

أدت التطورات الجديدة التي أفرزتها هذه الشبكات إلى قدرة المواطن على امتلاك أدوات التواصل، النشر و الحضور في الفضاء العام. فتحت الشبكات الاجتماعية المجال أمام جُل المواطنين الذين يستخدمون الشبكة من طرح قضاياهم، مشاكلهم، همومهم والتفاعل فيما بينهم. هذا ما أفرز فضاءً افتراضياً نشطاً و فعالاً. عززت هذه الشبكات ثقافة الحوار، النقاش و عززت الاستقلالية الثقافية والانفتاح على الآخر. حيث أصبح يتشكل لدى المهتمين بشبكة التواصل الاجتماعي إمكانية زوال الفضاء العام بمفهوم هيرماس و بروز فضاء افتراضي من شأنه أن يعزز المشاركة في النقاش. إذا كان الأمر كذلك فهل يمكن القول انه انتهى عهد الفضاء العمومي التقليدي و حل محله الفضاء الافتراضي بظهور شبكات التواصل الاجتماعي؟

ماذا نعني بالفضاء العمومي؟

1, شبكات التواصل الاجتماعي

1,1 المفهوم

تعرف مواقع التواصل الاجتماعي على أنها منظومة من الشبكات الالكترونية عبر الانترنت، تتيح للمستخدم إمكانية إنشاء موقع خاص فيه، يتم ربطه بنظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم ذات الاهتمامات والهوايات. (1)

يعرفها محمد منصور على أنها تلك المواقع الاجتماعية التي تتيح لمتصفحها إمكانية مشاركة الملفات والصور وتبادل مقاطع الفيديو، كذلك تمكينهم من إنشاء المدونات الالكترونية، إجراء المحادثات الفورية، و إرسال الرسائل. تصدرت الشبكات الاجتماعية ثلاثة مواقع هامة رئيسية هي : "الفيس بوك" "تويتر"، وموقع مقاطع الفيديو "اليوتيوب". أصبحت الوسيلة الأساسية لتبادل المعلومات و الأخبار الفورية في متابعة مسار وتطورات الأحداث. (2)

تعد كذلك "بنية اجتماعية ديناميكية مشكلة من قمم و أطراف، القمم تشير إلى أشخاص أو منظمات، مرتبطة بعضها البعض بتفاعلات اجتماعية، بعد التشكل الجماعة الالونية عبر الأنترنت، تأخذ بالبحث عن بعضها البعض عبر فضاءات مستقلة خاصة بهم (...)، حيث يحس الفرد بأنه مركز اهتمام الجماعة، هذا ما يسمى بالفردانية الرقمية في الشبكة التي تولد شعورا بالأنسة أو الألفة الاجتماعية"⁽³⁾

شبكات التواصل الاجتماعي هي كذلك عبارة عن أنظمة مرتبطة بنوع أو أكثر من أنواع الترابط التي تشمل القيم والرؤى، الأفكار المشتركة، الاتصال الاجتماعي، القرابة، التبادلات المالية والتجارية، العضوية المشتركة في المنظمات و المجموعات المشاركة في حدث معين. يردف إليها العديد من الجوانب التي تخص علاقات الإنسان كإنسان مفعم بالإنسانية. (4)

يردف إلى ذلك "مايلفيد" تعريفا لشبكات التواصل الاجتماعي على أنها مجموعة جديدة من وسائل الإعلام الجديدة على الانترنت تشترك بالخصائص التالية⁽⁵⁾:

1- المشاركة: تشجع على المساهمات وردود الفعل (التعليقات) من أي مهتم، تلغي الخط الفاصل بين وسائل الإعلام والمتلقين.

2- الانفتاح: معظم شبكات التواصل الاجتماعي عبارة عن خدمات مفتوحة لردود الفعل والمشاركة، تبادل المعلومات والتعليقات، نادرا ما يوجد حواجز أمام الوصول إلى المحتوى و الاستفادة منه.

3- المحادثة: تعتمد شبكات التواصل الاجتماعي على المحادثة باتجاهين، بعكس وسائل الإعلام التقليدي التي تعتمد مبدأ بث المعلومات و نشرها باتجاه واحد لجميع المتلقين.

4- التجمع: تتيح شبكات التواصل الاجتماعي إمكانية التجمع بشكل سريع وفعال، يربط تلك التجمعات حول اهتمامات مشتركة كالتصوير الفوتوغرافي مثلا، مع طرح القضايا السياسية وغيرها للنقاش.

2.1- مميزات مواقع التواصل الاجتماعي:

- سهولة الاستخدام:

طُورت مواقع التواصل الاجتماعي لتكون سهلة الاستخدام، فهي لا تحتاج إلا على القليل من المعرفة في أسس التكنولوجيا و المعلوماتية، من أجل النشر وتحقيق التواصل عبر الشبكة، كل ما يحتاجه المستخدم القليل من التدريب البسيط على أبجديات الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، في المقابل هناك بعض التطبيقات للأشخاص المتقدمين على التقنيات⁶. تقنيات تكون بسيطة في التصميم و الألوان. تعرض المميزات فقط عند الطلب بحث تكون المحادثة سلسلة، تستخدم أزرارا واضحة، رسوما و أشكالا توضيحية، وتوفر صورا متزامنة مع الوقت للتحديثات، وإشعارا معينيا يثير انتباه المستخدم. (7)

- التواصل والتعبير عن الذات:

أتاحت شبكات التواصل الاجتماعي قنوات اتصال جذابة لا تعتمد على نشر محتوى معين و أصبحت حاجة للمهتمين في الاتصال مع الآخرين والتعبير عن الذات. (8)

- تشكيل المجتمع بطرق جديدة:

على الرغم من أن المفاهيم المجتمعية الوهمية وجدت منذ بداية التطبيقات الالكترونية، إلا أن مواقع الشبكات الاجتماعية وفرت سبلا جديدة للاتصال. تتنوع دائرة المستخدمين على الشبكة بحيث ينضمّ منهم لمجتمعات قراء الكتب، من خلال تبادل قراءة الكتب التي يحبون و يريدون مشاركة غيرهم القراءة.⁽⁹⁾

- تخريج البيانات:

تسمح غالبية شبكات التواصل الاجتماعي لأعضائها باستعراض شبكات أصدقائهم،⁽¹⁰⁾ مكن تخريج البيانات المتاح في الشبكات المستخدم من استعراض شبكته الخاصة ومشاركتها مع عامة الناس و الأصدقاء. توفر بعض الشبكات تطبيقات تسمح للمستخدمين بوصف العلاقة بينهم وبين الأعضاء الآخرين.

- نشاطات من القاعدة إلى القمة:

توفر شبكات التواصل الاجتماعي منصات مثالية، يستطيع من خلالها المستخدمون المشتركون بنفس القيم و الاهتمامات أن يتعاونوا بشكل فعال و بتكاليف أقل. مثلا يستطيع الأطباء أن يتشاركوا ويتأكدوا من الحالات الطبية النادرة من خلال شبكات التواصل الاجتماعي الصحية مثل "Within". كما يمكن تنظيم احتياجات من خلال استخدام مواقع مثل "Care".⁽¹¹⁾

- إعادة تنظيم جغرافيا الإنترنت:

أتاحت شبكات التواصل الاجتماعي نقاط دخول جديدة على الانترنت "الشخصية العالمية للناس" و حتى وقت قريب كان الناس يتحدثون مع بعضهم من خلال الانترنت باستعارة المكان (المدن العناوين، الصفحات الرئيسية) و حولت هذه المواقع الاستعارات القائمة على المكان إلى شخصية منها "المدونات، الملف الشخصي، السوري ..".⁽¹²⁾

العاطفة من خلال المحتوى:

المشاركة العاطفية إحدى الدوافع الرئيسية لاستخدام التدوين المصغر، ترتبط بقوة وخصائص الشبكات الاجتماعية مع ما يعرف بالمشاركة أو التبادل العاطفي. يظهر ذلك بشكل واضح في تيارات الوعي الاجتماعي "Social Awareness streams"، التي تسمح خصائصها للمستخدم بالتفكير في كيفية المشاركة العاطفية، الناس مجبرون على مشاركة العواطف في فترة زمنية قصيرة، بشكل خفيف في شبكات التواصل الاجتماعي. (13)

3.1- أشكال مواقع التواصل الاجتماعي:

بما أن موضوع الدراسة حول مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في انشاء المجال الافتراضي ، هذا يعود لتعدد مواقع التواصل، فارتأينا أن نعدد ثلاثة مواقع الاكثر استخداما و هي: "الفيسبوك" و"التويتر" و"اليوتيوب"، ونظرا لانتشارها الكبير في الوطن العربي و العالم، نظرا للدور الذي لعبته في الأوضاع السياسية في المجتمعات، في الوقت الذي غابت فيه دور وسائل الإعلام الأخرى.

الفضاء العمومي:

شكل المجال العام رؤية جديدة لمفهوم الديمقراطية و بناء مجتمع تحكمه العقلانية والانعقاد والمصلحة العامة، مع إعادة صياغة بنية العلاقات بين السلطة والمجتمع المدني. اجمالا إنها الرؤية التي أعطت نفسا جديدا للديمقراطية قوامها "الاتصال"(14). يعتبر هذا المجال الإطار الذي تتحقق من خلاله عملية التمثيل الإعلامي للأحداث الاجتماعية ، السياسية و الثقافية. إنه مجال تواصل و سائطي تشكله وسائل الاعلام التي تبرز الافكار و الآراء و الاحداث الاجتماعية (15). تشكل الفضاء العمومي تاريخيا عبر التحولات الاجتماعية التي صاحبت التطورات الاقتصادية خاصة مع بروز الطبقة البورجوازية التي شكلت النظام الرأسمالي في اوروبا. الفكرة التي حركها الفيلسوف و عالم اجتماع هبرماس. فكرة اتخاذها كقناة تحليلية أو أداة مفهومية لدراسة العلاقة الرمزية و العلنية بين المواطنين في اهتمامهم بالشأن العام. هذا من جهة و في جهة أخرى علاقة المواطنين أو المشاركين في النقاش بالدولة الديمقراطية التي تتوفر هيئات برلمانية. عرفه

هبرماس كذلك بأنه فضاء للتوسط يقوم فيه الاشخاص الخواص بالاستخدام العمومي للعقل من اجل بناء توافق سياسي. ولقد استخدمه الفيلسوف الألماني هيجل مفهوم الفضاء العمومي في سعيه للتمييز بين الدولة والمجتمع المدني وعرف كهزمة وصل بين المجتمع المدني والدولة(16)، أما هبرماس صاغ مفهوم المجال العمومي ليؤسس من خلاله لنظرية الفعل الديمقراطي، إنطلاقا من مبدأ الحق المشتركة السياسية، ضمن الأطر الذي حددتها المواطنة التي تأسست مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان و المواطنة، مبدأ جاء يكرس مفهوم حق المشاركة وفق قواعد أخلاقية يلتزم بها المشاركون في النقاش داخل الفضاء العمومي. من ثم تثبت القيم الكونية الاساسية لانعتاق الفرد و المجتمع على اساس فعله التواصل العقلاني فوفقا لقراءته النقدية لأداء الديمقراطية التمثيلية في ظل الدولة الراعية. اتضح له جليا اننا نعيش خروقات مست جوهر الديمقراطية التي تحولت فيها تدابير الديمقراطية التمثيلية إلى مجرد جهاز لتوجيه الراي العام، التذليل بدل المقاومة و النقاش النقدي، فالراي العام الذي يعبر عنه اعضاء البرلمان على أساس تمثيلهم لمختلف التوجهات المجتمع لم يعد ذلك النتاج الجمعي الفعلي لكل المواطنين بل تصنعه اقلية ذات نفوذ سياسي و مصالح خاصة. المصالح الخاصة و المجال العمومي منظومة من القيم والمعايير التي يختبر بها و ينجز بواسطتها الفعل الديمقراطي(17).

1- شبكات التواصل الاجتماعي انهيار المجال العام وصعود الفضاء الافتراضي

إن ظهور شبكة الانترنت خلقت فضاءات عامة جديدة سمحت للأصوات المتعددة أن تعبر عن نفسها، إذ أصبحت مجالا حيويا لنشر رؤى و الأفكار النقدية، ليس الغرض منها خدمة مصالح الجماهير العريضة الضيقة للنخب السياسية الحاكمة(15)، بل تعالج كما أسلفت بتوفير فضاء معلوماتي واسع الأفق كي يمارسوا النقد الاجتماعي، إنها فرصة جديدة لمستخدميها ليشكلوا من خلال هذا الفضاء آلية اتصالية سمي بالمجتمع الافتراضي.

يعود تعريف المجتمع الافتراضي إلى هاوارد رينغولد الذي صيغ بالكتاب الذي حمل عنوانه المجتمع الافتراضي، الذي تضمن التعريف التالي: بأنه تجمعات اجتماعية تشكلت من أفراد في أماكن متفرقة في أنحاء العالم يتقاربون و يتواصلون فيما بينهم عبر شاشات الكمبيوتر والبريد الإلكتروني، يجمع بين هؤلاء الأفراد اهتمام مشترك ويحدث بينهم ما يحدث في الواقع من تفاعلات. غير أن التواصل يتم عن بعد بحيث يشكل هذا المجتمع مجال نمو الشبكات الاجتماعية، يشكل الحيز و الإطار الذي يتم في سياقه تجميع خيوط الشبكات الاجتماعية⁽¹⁶⁾

إن الحيز العام الافتراضي المتمثل في وسائل الإعلام التفاعلية قد تقدمت بوصفها مجالاً عاماً حقيقياً نافياً المجال السياسي القديم، بفاعلية شديدة قادرة على إنتاج حالة إجماع على قيم ورموز سياسية معينة⁽¹⁷⁾. هذا ما أسهم في زيادة دور مواقع التواصل الاجتماعي في صناعة الحدث السياسي في العالم العربي، خاصة بعد التعطيم المفروض على وسائل الإعلام، مع مصادرة السلطة للحيز العام بشكله التقليدي و منع النقاش والحراك السياسي⁽¹⁸⁾. مثل ما حدث في ثورة 25 يناير في مصر و قبلها في تونس وبعدها سوريا وليبيا، حيث لقيت شبكات التواصل الاجتماعي خلال هذه الثورات شهرة كبيرة سلطت عليها أضواء إعلامية عالمية، مما زاد عدد زوارها، حيث تم تنظيم الاحتجاجات والمظاهرات بواسطة الرسائل النصية والتعليقات والفيديوهات و الصور. لقد تميزت هذه الحركات الناشطة التي قام بها مستخدمي هذه المواقع بالدقة والتنظيم والسرعة في ملاحظة الأحداث، والذكاء في اختيار الشعارات.

يمكن القول أن وسائل التواصل الاجتماعي ساهمت بشكل أو بآخر في إنتاج واقع كسر حاجز التعطيم أو فقدان المعلومة المحتكرة، إذ أضحى من غير الممكن تطويق الحدث بمنع المراسلين أو الصحفيين من تقصي المعلومات، كما برز المواطن المراسل الناقل للحدث بأدواته البسيطة التي تقتصر على هاتف المحمول من الجيل الثالث أو الرابع و إرسالها عبر مواقع التواصل الاجتماعي⁽¹⁹⁾.

يمكن القول مما سبق أن مفهوم المجال العام قد تغير، إذ كانت الصحافة المطبوعة ساعدت على جعل أوروبا ديمقراطية عن طريق توفير فضاء النقاش والاتفاق بين المواطنين المنخرطين سياسياً، فإن مواقع التواصل الاجتماعي من حيث هي جزء من الواقع الجديد الذي يحوي على فئة السياسي والثقافي، بالتالي فإنها لا تقوم فقط بنشر و الاستهلاك بل تقوم بإعادة إنتاج مجال جديد على أنقاض القديم الذي تفكك وانهار لصالح الجديد.

في الختام يمكن القول أن مواقع التواصل الاجتماعي قد أدت دوراً كبيراً في تعزيز النقاشات و الحوارات، إذ وفرت لجميع المواطنين دون استثناء، فضاءات للتفاعل مع بعضهم البعض، كما أتاحت الفرصة لإنتاج المضامين المختلفة، حول مختلف الأحداث والقضايا، قد تكون هذه المضامين تسجيلات فيديو، مقالات، صور... الخ. يقوم الأفراد بالتعبير عن آراءهم وانشغالاتهم من خلال تلك تطبيقات التي وفرها الإعلام الجديد باستخدام تطبيقات و فرها الويب 2.0.

المصادر و المراجع

1. زاهر رامي، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، ع 15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003، ص 23.
2. محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال للطالب، مجلس كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية في الدنمارك، 2012، ص 8.
3. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
4. عبد الله ممدوح مبارك الرعود، دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2012، ص.ص، 30.31.

the power of social media in developing nations : new tools for "Ali. H.A, .6
,HARVARD HUMAN RIGHTS "closing the global digital divide and beyond
JOURNAL/ Vol.24, 2011, p, 213, Available : [http://harvardhrj.com/wp-
content/uploads/2009/09/185-220.pdf](http://harvardhrj.com/wp-content/uploads/2009/09/185-220.pdf)

9 Crucial UI Features of Social Media and Networking "Matt Cronin .7

,2009, Available : "Sites

[http://www.smashingmagazine.com/2009/06/03/9-crucial-ui-features-of-
social-media-and-networking-sites/](http://www.smashingmagazine.com/2009/06/03/9-crucial-ui-features-of-social-media-and-networking-sites/) .8

Ali. H.A, p, 213. .9

Cachia.R, Social computing : Study on the use and impact of online social .10
networking IPTS Exploratory research on the socio-economic impact of social
computing, 2008, p.3, Available : <http://ftp.jrc.es/EURdoc/JRC48650.pdf>

jcmc.indiana.edu/vol13/issue1/boyd.ellison.html .11

Cachia.R, p.3. .12

.13. عبد الله ممدوح مبارك الرعود، مرجع سابق، ص، 38.

.14. مفيدة العباسي ، المجال العمومي والاتصال الافتراضي، ماجستير في علوم الاعلام والاتصال

ليست منشورة، جامعة منوبة معهد الصحافة وعلوم الاخبار، تونس، 2009\2010، ص6.

.15. صادق الحمامي، الميديا الجديدة والمجال العمومي الاحياء والانبعث، مجلة الاذاعات العربية،

د س، د ع، ص17.

16. نصر الدين العياضي: فضاء عمومي أم مخيال إعلامي مقارنة نظرية لتمثّل التلفزيون من المنطقة العربية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (الحولية الحادية والثلاثون)، 2011، ص34.
17. مفيدة العباسي ، مرجع سبق ذكره ، ص5.
18. مقال لدكتورة صفاء زمان، <http://www.kse.org.kw> عليه 2015/10/15 .
19. عبد الغني عماد: الثقافة وتكنولوجيا الاتصال (التغيرات والتحويلات في عصر العولمة والربيع العربي)، المؤسسة الجامعية للدراسات النشر والتوزيع، بيروت، 2012، ص104.
20. حمزة مصطفى المصطفى، المجال العام الافتراضي في الثورة السورية الخصائص-الاتجاهات- آليات صنع الرأي العام، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، دس، ص 9.
21. نفس المرجع، ص 19.